إبصار المستقبل

الشيخ الدكتور جاسم مهلهل الياسين

نشر في كتاب

البعد الرسالي لمجلس التعاون الخليجي

بلاد الجزيرة العربية

(سلسلة مشروعات ثقافية)

إعداد إدارة البحوث والدراسات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، 2002م

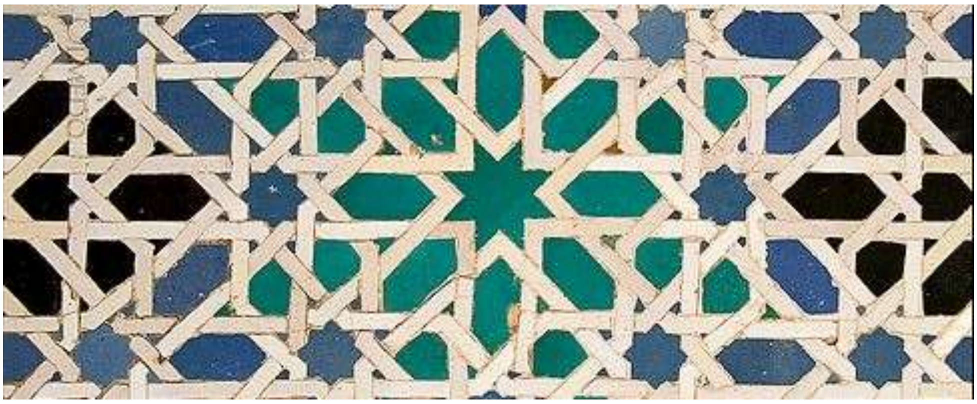

أعيد نشره إلكترونيا في رمضان 1439 / مايو 2018

إبصار المستقبل

الدكتور الشيخ جاسم مهلهل الياسين(*)

إعادة البعث الحضاري يتطلب: ضرورة استنبات الكوادر الفذة من نوابغ الأمة وقوادها؛ وتكوين مجمع لعلماء الجزيرة يبحث أوضاعها، ويخطط لمستقبلها؛ وتنقيح المناهج الشرعية، بحيث تدرس فقه الشريعة والواقع معاً؛ واستلهام الموروث الحضاري بعد فرزه جيداً؛ وتجاوز النظرة الإقليمية الضيقة، إلى نظرة أممية تهتم بقضايا الأمة وإشكالاتها؛ وترتيب أولوياتها.

مقدمة:

ينبني هذا المحور "**إبصار المستقبل في الجزيرة العربية**" على المحورين السابقين وهما:

1- استشراف الماضي (التجربة الحضارية التاريخية).

2- الإمكانات المذخورة.

كما أنه يتميز بطبيعة خاصة تنبع من موضوعه الاستشرافي، فالنتائج فيه ليست حتمية، وإنما هي نسبية؛ وذلك لأنه يبحث في مستقبل مجهول، نسعى لاستطراقه بوسائل علمية وبراهين مادية وقبلها براهين سماوية من الرسالة الخالدة، رسالة

(*) باحث.. أستاذ الثقافة الإسلامية، في كلية الشريعة، جامعة الكويت (دولة الكويت).

الإسلام.

وقد حرصت على استعراض ومضات موضوعية نحو الانطلاقة إلى الأمام وتحقيق مشروع البعث الحضاري المأمول أكثر مني طارحاً لسيناريوهات المستقبل.

لأن توقع السيناريوهات من وجهة نظري لا يجدي الخلاف حوله بقدر ما يجدي كيفية التغلب على عقبات الواقع ومتوقعات المستقبل، من خلال طرح الخطوط العريضة والواقعية للخروج من المأزق الحضاري المتأزم، ولعلاج مواطن الخلل ودفع أسباب القصور وعوامل الإعاقة.

وهذا ما حاولت جاهداً أن أركز الحديث عنه في إيجاز وموضوعية معتمداً في ذلك على المنهج الاستقرائي، إضافة إلى تأسيسات المنهج الوضعي الذي يفضي إلى بعد تحليلي في صورته التجزيئية لاستخبار المواطن ومعرفة البنى الرئيسة، وتركيبي لابتناء رؤية كلية ننفذ منها إلى التقييم ومن ثم طرح الحلول.

وقد جاءت عناصر المعالجة في طرحين:

الطرح الأول "إبصار المستقبل (ركائز وثوابت)":

1-تمهيد عن استشراف المستقبل وضروراته.

2-ماهية الإبصار المستقبلي للجزيرة العربية (دول مجلس التعاون).

3-ركائز عملية الإبصار المستقبلي.

4-خطوط عريضة في سبيل إبصار المستقبل للجزيرة العربية.

ثم جاء **الطرح الثاني عن "ومضات في سبيل البعث الحضاري للجزيرة العربية"**، وذلك في سبع ومضات كالتالي:

الومضة الأولى: تزاوج العقل والنقل في سبيل الانطلاق لتحقيق البعث الحضاري.

الومضة الثانية: استرجاع الثقة في ابتناء الإيمان للحضارة.

الومضة الثالثة: الصورة الحضارية في الحكم بالشريعة الإسلامية.

الومضة الرابعة: ضرورة الانفتاح على الآخرين.

الومضة الخامسة: معاً نحو أسلمة التكنولوجيا.

الومضة السادسة: عقد المصالحة بين السلطة والمجتمع.

الومضة السابعة: النظرية الإسلامية التربوية.

الطرح الأول

إبصار المستقبل (ركائز وثوابت)

1- تمهيد عن استشراف المستقبل:

الحركة التطلعية في الإنسان نحو الأفضل والأحسن تكاد تكون مرتكزة في طبيعته، لا تفارقه، فما من إنسان على وجه الأرض إلا وله آمال يريد أن يحققها، وأحلام يرجو أن يراها واقعاً، وكل فرد إنما يتطلع للمستقبل من خلال نظرته التي ينظر بها في الحياة، تلك التي تصطبغ بالصبغة الفكرية العقلية، أو الشعورية الوجدانية، أو الحسية المادية، ولذلك تختلف آمال الناس وتطلعاتهم لأنفسهم ولأمتهم، لكن هذه الآمال لا تنعدم ولا تتوقف إلا إذا توقفت الحياة ذاتها، بل إننا نقول: إن هذه الطبيعة ليست قاصرة على الإنسان، بل تتعداه إلى بعض الكائنات الحية الأخرى، فالنمل يدخر في فصول السنة ما يقتات به في فصل الشتاء، حين تنعدم حركته، الأمر إذن أوسع مما يظن البعض.

وتفاوت الناس في تطلعاتهم لمستقبلهم مرده إلى وجود بعض الترسبات التي رانت على بعض البيئات وظهرت في العادات والتقاليد، واتخذت لنفسها صوراً متعددة من الاتكالية والتراخي في العمل والكسل، وضعف الهمة، وفتور العزيمة، وغير ذلك من مظاهر الضعف التي تجعل الإنسان ذاهلاً عن حاضره وما يدور حوله، فضلاً عن ذهوله الجزئي أو الكلي عن المستقبل وما يدبر فيه.

والإسلام منذ مجيئه يوجه الناس إلى الاهتمام بالمستقبل اهتماماً كاملاً لا يقل عن اهتمامه بالحاضر، بل قد يزيد.. إن الدين قد ربط اليوم الآخر - وهو مستقبل

وراء هذه الحياة الدنيا- بالإيمان بالله، فقد جاء في كتاب الله: ﴿...وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ (البقرة:177)، ومعنى ذلك أن المسلم يهتم بالمستقبل ابتداءً من لحظته الحاضرة إلى يوم القيامة، وأنه مستعد لهذا المستقبل دائماً، فهو في حياته الآنية يخطط لغده في ضوء معرفته بما يدور حوله من الأعداء المحيطين، والأصدقاء القريبين، والإمكانات المتاحة، والقوة الممكنة، لا تستخفه الأفراح والانتصارات، ولا تستذله الأتراح والانكسارات، بل هو -دائماً- متطلع للأفضل، ساع نحو الأحسن، مشمر عن ساقه في سبيل الصلاح والإصلاح له ولأمته وللبشر أجمعين.

والمسلم ينظر للمستقبل بعين تفاؤلية مع شدة الظلام، وكثرة المنغصات، وانتشار المصائب، وهذا أمر بينه الشرع عندما طالب المسلمين بحسن الظن بالله تعالى، والنبي ﷺ كان يُعجبه أن يسمع في كل صباح "يا نجيح"، واليُسر يأتي بعد العُسر، والحق دائم والباطل طارئ!! بهذه الروح التفاؤلية، والمعرفة النبوية الكريمة والاستقراء لتاريخ الصراع البشري بين الحق والباطل؛ كان من الممكن الوصول إلى النتائج لصالح الحق الإلهي.

وهناك صوراً من الاستشراف المستقبلي، المبني على المعرفة النبوية والاستقراء للسنن الكونية والشرعية، يقول النبي ﷺ لأم حرام بنت ملحان في المدينة، والقبائل العربية وقريش متربصين بهم: « **نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ** »[1]، ويقول ﷺ للآخر الذي جاء شاكياً شدة البلاء وهم في مكة يُعذبون: «**وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى**

(1) أخرجه البخاري.

يَسِـيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَـنْعَاءَ إِلَى حَضْـرَمَوْتَ لا يَخَافُ إلا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ...»[1].

صـحيح أن العلم النبوي الغيبي له أثره في تحديد الزمان والمكان إلا أن مُطلق الانتصـار مُهيأ لكل من يتعرف على سنن الحياة الكونية والبشرية؛ قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة:21)، وقال سـبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور:55)، وهكذا من يعرف الماضي والحاضر يستطيع توقع المستقبل!!

وهنا نقول: لا بد من توقع المسـتقبل وفهم آثار التغيير الكامنة بعيدة المدى، سـواء كانت إيجابية أو سـلبية قبل وقوعها، وقد جاء الإسـلام ليقلع من قاموس العرب «اليأس إحدى الراحتين» وبشائر الخير ظهرت ببدايات الصحوة الإسلامية في أواخر الألفية الثانية وسـتنمو وتترعرع وتكبر في الألفية الثالثة، قال أحدهم للشيخ: «لقد انتشرت البدع»، فقال: «قد أذن الله بزوالها».

والناظر يجد أنه لا تعارض بين الشريعة الإسلامية وأدوات الاستشراف، فعلم الاستشراف لا يقول بالحتمية للأحداث المتوقعة، فقد لا تقع كلياً أو جزئياً، أما وقوع المستقبل الحتمي فهو ما أخبرنا القرآن والسنة أنه سيقع في المستقبل: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا...**»[2]، وعندنا في مفاهيمنا الرجل "الملهم" الذي يعرف كيف

(1) أخرجه البخاري.
(2) أخرجه مسلم.

يتعامل مع الماضـــي والحاضر لرســم المســـتقبل، مثل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

وسيرة رسول الله ﷺ تدل على اهتمامه بالمستقبل، فقد كانت بيعتا العقبة خطوتين هامتين في رسم مستقبل الإسلام، وكان إخبار سراقة رضي الله عنه بأن له سواري كسرى استشرافاً منه لمستقبل الدعوة، وكانت الغزوات والفتوح تثبيتاً للحاضر ودعماً للمستقبل، وغير ذلك من الحوادث الكثيرة التي تدل على الاهتمام بالمستقبل والاستعداد له، والعمل على أن تكون كفة المسلمين فيه راجحة لا مرجوحة ومؤثرة لا متأثرة. وكانت المسيرة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ومن بعدهم تسير على نفس الوتيرة وإلا ما امتد الإسلام شرقاً وغرباً، وثبتت أركانه، وأقام بناءه في الجزيرة وغيرها من البلاد على أسس من العدالة التي حقق الناس في ظلها الرخاء والأمن.

عقبات وتحديات:

والمسلمون اليوم مطالبون باستشراف المستقبل، واستكناه ما يطويه في جوانبه ويحمله في حناياه بالنسبة لدينهم وبالنسبة لأرضهم وبلادهم، وثرواتهم وممتلكاتهم، حيث تواجههم تحديات كثيرة، بل قل متكاثرة تحيط بهم من كل حدب وصوب على كافة الأصعدة.

ومنها في الجانب الاقتصـادي الاسـتنزاف المسـتمر من الجانب الغربي لثروات العالم العربي ومقدراته، ووضع العراقيل أمام ظهور قوى اقتصـــادية جديدة، وتفشي البطالة، وإســـقاط المقاطعة أو محاولة ذلك، وإغلاق الجمارك، وفتح الباب على مصـراعيه أمام السـلع والبضـائع الأجنبية، التي تأتي ومعها بعض القيم والتصـورات التي تهدد الهوية الإســـــلامية في كثير من البلاد، ومع تهديد الهوية يكون التحدي

الاجتماعي المتمثل في تفكك الأسـرة، والإكثار من حالات الطلاق، وانتشـار المخدرات، وتواري القيم، ويضـاف إلى هذه الجوانب كلها الجانب الثقافي الذي يهدف إلى الغزو الفكري وإلى إحلال القيم والتصورات الغربية محل القيم والتصورات الإسلامية.

وإذا كانت هذه التحديات تواجه المسلمين في حياتهم، وتخترق عليهم ديارهم وبلادهم، فإن هناك تحدياً أكبر موجه نحو الإسلام ذاته، إذ أن المحاولات للنيل من الدين، كانت في الماضي تقتصر على فروع الدين، وتركز على مهاجمة اللغة العربية (وعاء الدين) بالسخرية من القائمين على أمرها والحط من قيمتهم، ومهاجمة مفرداتها، وطريقة كتابتها، وإبدالها باللغات الأجنبية لمنافستها، والتغلب عليها في ديارها وبين مثقفيها.

كان هذا في الماضي وما يزال باقياً مع اتساع دائرة التحدي للدين قبل سنوات خلت، حيث هوجمت أعمدة الدين ذاتها ممثلة في الهجوم على الرسـول ﷺ وعلى القرآن بالتأويل والتحريف، بل وصل الأمر إلى إطلاق ما لا يليق من الألفاظ على الله سبحانه.

إن الهجوم على الإسلام يصحبه ويسبقه ويتبعه هجوم على الإسلاميين لمنع صوتهم، وإعلان صمتهم، ورضوخهم للأمر الواقع الذي انبطحت فيه الأمة أمام المد اليهودي الصهيوني، الذي لا يقبل أن يرى رأساً يرتفع، أو معارضاً يرفض، أو إنساناً يقول لا للتطبيع وما يتبعه من ضياع للمقدسات.

أمام هذه التحديات وغيرها مما يواجه الإسلام والمسلمين كيف يكون استشراف

المستقبل؟ وكيف يمكن الخروج من هذا النفق المظلم؟ وكيف نتغلب على المشكلات والتحديات؟ في ضوء محور بحثنا هذا عن إبصار المستقبل للاطلاع بالدور الرسالي.

2- ماهية الإبصار المستقبلي للجزيرة العربية:

أ- بين الإبصار والاستشراف:

لا نجد فارقاً بين التعبير بإبصار المستقبل أو استشراف المستقبل، إذ الإبصار فيه أعمال للبصر والبصيرة في تلمس خطوط المستقبل المجهول من خلال استقراء واستبصار الماضي وتفحص الواقع وتلمس خيوط وخطوط نمو الحدث وتكوينه، وأسبابه ومسبباته والاستشراف من طلب الشرف، وهو المكان العالي، قال الشاعر الجاهلي:

وبالشـــرف الأعلى وحوش كـأنها على جانب الأرجاء عوذ هجان

وقد كانت العرب قديماً تصعد عالي المكان لاستبصار ما حوله واستنتاج ما قد يكون .. ومن المعلوم أن النظر من المكان العالي هو غالباً نظر إحاطة، ويورث رؤية صادقة للمكان عن حق، ويعطي توقعات لما يمكن أن يكون، وعليه فلا مشاحة في الاصطلاح: إبصار أو استشراف.

ب- ماهية الإبصار المستقبلي:

أما عن ماهية الإبصار المستقبلي للجزيرة العربية، فهي عملية نقد بناء لواقع الجزيرة ومراجعة فاحصة لتجربتها الماضية في حمل الرسالة الإسلامية قيماً وحضارة، ديناً ودولة، دنيا وآخرة.. سعياً إلى استعادة دورها وبعث ريادتها في حمل مشعل الحضارة الإسلامية من جديد إلى عالم يسوده تخبط حضاري في وسط بحر التقدم المادي الغامر.

3- ركائز عملية الإبصار المستقبلي للجزيرة العربية:

أجد عملية الإبصار بصورتها السابقة تنطلق عن ركيزتين رئيستين يمكن تحديدهما على النحو التالي:

الركيزة الأولى: الوعي بالذات

وهذه الركيزة الأولى هي المنطلق الرئيس لعملية الإبصار؛ لأن الوعي بالذات هو أول خطوات الانطلاق نحو الأمام، فَمَنْ جهل نفسه حريّ به أن يجهل غيره، ويتخبط في تبؤ مكانة سامية أمام مَنْ حوله.

والوعي بالذات يقصد به هنا: حالة التقييم الصحيح لواقع الجزيرة العربية (دول مجلس التعاون) على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بما يمكن أن يطلق عليه توصيف الواقع الحضاري الكائن، إضافة إلى استرجاع بعث الموروث الحضاري وتفحصه وقراءته برؤية حداثية حضارية ترتكز على أخذ عناصر القوة واستجلائها واستخراجها، ونبذ عناصر السقوط والتهافت، بعد التعرف عليها ورصد أسبابها ومسبباتها وآثارها وسيرورتها في نخر الحضارة الإسلامية وانحرافها وانحسارها عن أدوارها الصحيحة.

الركيزة الثانية: الوعي بالواقع المعاصر (بالآخر):

وتلك ركيزة أخرى تمثل الجناح الثاني بعد جناح الركيزة الأولى إزاء الانطلاق لعملية الإبصار المطلوبة.. والوعي هنا ينبغي أن يكون عاماً مع درجة تخصص في صعيد المجال الإنساني، لأنه يعد المدخل الرئيس للحاجة الإنسانية الحضارية المتأزمة للدور الرسالي.

وهذا يستدعي منا دراسة استغرابية، على وزن الدراسات الاستشراقية التي سبرت أعماق تراثنا، واستقرأت حالنا المعاصر فأحسنت البناء على ذلك إما

بسيطرة علينا في صورة الاستعمار أو بتوجيه منهجي لأفكارنا من خلال موجات الاستلاب الفكري والغزو الثقافي.

وليس بخاف على العارفين دور الاستشراق في حياتنا الفكرية وأزمتنا الحضارية المعاصرة.

أهمية الركيزتين السابقتين:

وعندي أن هاتين الركيزتين السابقتين تمثلان معاً جناحي الطير والتحليق إزاء إبصار المستقبل، واستشراف القابل من الزمان، وتحقيق الموعود من ذلك الاستشراف.. ولا أراني بعيداً عن الصواب إن قلت: إن أي خلل في إحدى هاتين الركيزتين سيترتب عليه لا محالة خلل في التقييم ثم خلل في الرؤية، وبالتالي قصور في الاستشراف وتقاصر عن إدراك آفاق المستقبل.

وانظر عن أهمية الركيزتين السابقتين الشكل الآتي لمعرفة موقعهما من عملية الإبصار المستقبلي.

4- خطوط عريضة في إبصار المستقبل للجزيرة العربية:

تأسيساً على تلك المقدمة السابقة، أستطيع أن أخلص إلى طرح النقاط الآتية، عساها توضح الرؤية في عملية الإبصار المستقبلي المرومة للجزيرة العربية.

وهذه النقاط ليست رسماً لسيناريو المستقبل بقدر ما هي علامات على الطريق في سبيل رسم ذلك المستقبل:-

أولاً: لا تزال الجزيرة العربية هي قبلة العالم الإسلامي في كافة الأقطار والأمصار:

وقد يعظم هذا الدور الروحي مستقبلاً في ظل مشروع النهوض الحضاري المروم للاطلاع بالدور الرسالي، لتكون قبلة العالم الروحية بتجربتها الحضارية المتوقع تحقيقها، بحيث تغدو أرواح وضمائر الإنسانية من مسلمين وغيرهم لتحقيق

نبوءة القرآن عن نبوة محمد ﷺ ورسالته: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)، ولتحقيق بشارة القرآن عن دين الإسلام: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (التوبة:33).

ثانياً: زيادة الهجوم والكيد الفكري المباشر وغير المباشر على الجزيرة العربية في ظل المتغيرات الدولية المعاصرة:-

ولا تخفى وطأة الحملة الصهيونية العالمية على الإسلام، باسم الإرهاب، للسيطرة على فلسطين ومقدسات المسلمين بها، ولفض المسلمين عن الاجتماع والالتقاء في أعظم ملتقى بشري في الكون وذلك في موسم الحج.

وهذا الدور الصهيوني مرشح للازدياد إن لم تتم مواجهته إيجابياً، أي بالرد المباشر وكشف زيف تلك المخططات وفضحها ونقضها كلما أبرمت، والسعي لتكوين «لوبي» إسلامي على المستوى العالمي لبيان حقيقة الإسلام وقيمه الحضارية التي تحتاج إليها الإنسانية جمعاء، وأنها دين مكارم الأخلاق، ورسالته الأولى كانت لإتمامها.

ثالثاً: توحد الرؤى وتعاضدها، والتخطيط العلمي العقلي الإيماني الصحيح، كفيل بعودة الجزيرة إلى ريادتها الروحية والحضارية على مستوى العالم:-

ويتحقق ذلك بالقدرة على توظيف المكانة الدينية للمقدسات في أرض الجزيرة، وتوجيه الموارد المالية الضخمة في الجزيرة في طرح البدائل الإسلامية، وأسلمة التكنولوجية لتصبح في خير الإنسانية.

إضافة إلى تحقيق الانسجام المجتمعي في الجزيرة، وتوفير خطوط عريضة للتفاهم بين السلطة والمجتمع.. إلى غير ذلك من محاور سيتم عرضها.

كل هذا كفيل بتحقيق الغاية المنشودة وبعث الدور الحضاري الريادي للجزيرة العربية.

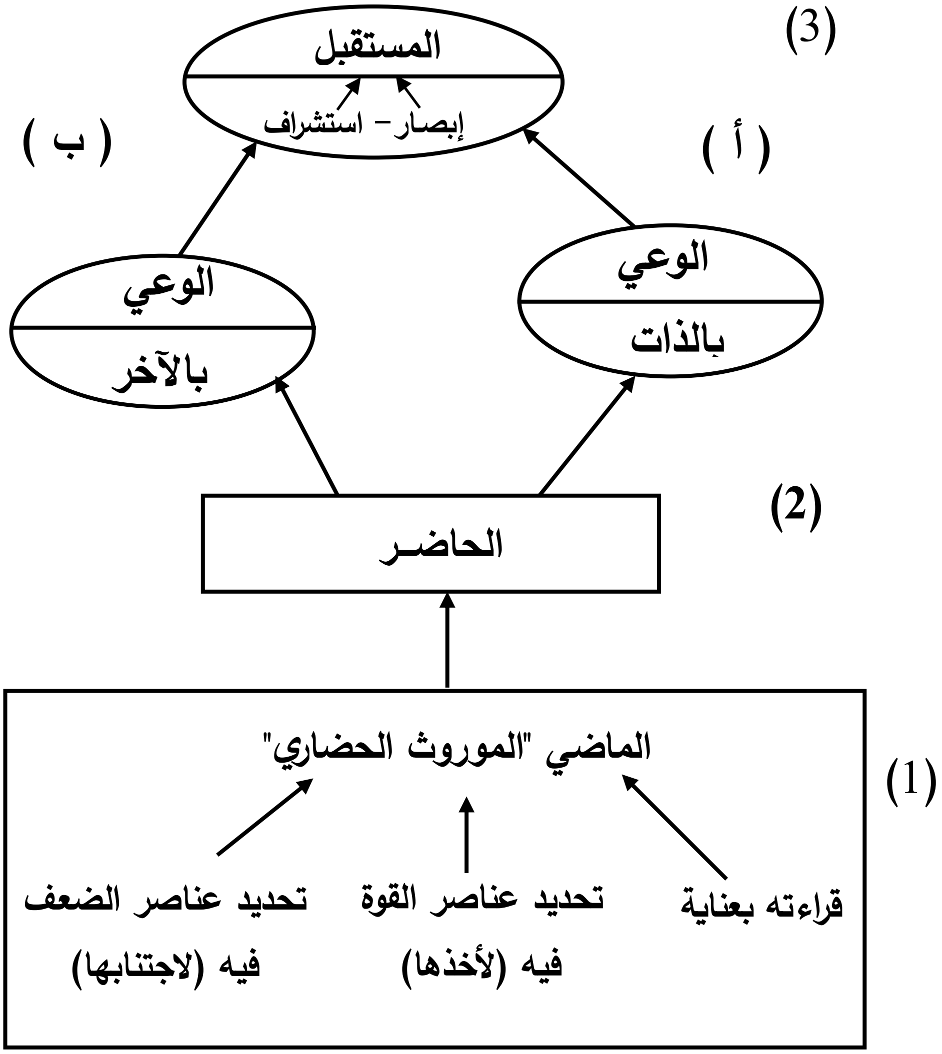

شكل يبين منظومة إبصار واستشراف

مستقبل الجزيرة العربية (دول مجلس التعاون)

الطرح الثاني
ومضات في سبيل البعث الحضاري للجزيرة العربية

مقدمة:

استكمالاً لما طرحناه سابقاً، فقد ارتأيت أن أذكر هذه الومضات التي تمثل هادياً نحو الإبصار النظري الصحيح والعمل الواقعي في سبيل استعادة الدور الحضاري للجزيرة للاطلاع بمسؤولية سد الحاجة الإنسانية للبعد الروحي المفقود في حضارتها المادية المفرغة في المادة واللذة والمحسوس على حساب الروح والضمير.

وقد ركزت في ذكر ومضات الخروج من المأزق الحضاري الحالي سعياً لتحقيق القياد الحضاري المنشود في الجزيرة العربية لإلحاق الرحمة بالعالمين، من خلال إحياء الدور الحضاري الرائد لأمة الرسالة الإسلامية.

وقد جاءت هذه الومضات في الآتي:

أولاً: تزاوج العقل والنقل في سبيل الانطلاق لتحقيق البعث الحضاري.

ثانياً: استرجاع الثقة في ابتناء الإيمان للحضارة.

ثالثاً: الصورة الحضارية في الحكم بالشريعة الإسلامية.

رابعاً: ضرورة الانفتاح على الآخرين.

خامساً: معاً نحو أسلمة التكنولوجيا.

سادساً: عقد المصالحة بين السلطة والمجتمع.

سابعاً: النظرية الإسلامية التربوية.

خاتمة وخلاصة.

أولاً: تزاوج العقل والنقل في سبيل الانطلاق لتحقيق البعث الحضاري:

فإن من فضل الله العظيم علينا أن يرزقنا نعمة العقل وتعبدنا به، فلا فرض ولا نفل، ولا تكليف ثم إلا من بابه.. وفضيلة العقل تقتضي بالمسلم أن يطوف به في خبر الحوادث وتصاريف المواقف، وسبر النوازل، يقرأ جديدها، ويعي مداخلها، ويلم بأطرافها، فتثمر لديه ثمرات جمة يفيد منها في دينه.

وهذا مقصود من مقاصد الشرع، دلت عليه الآيات الكثيرات: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾ (غافر:82)، وقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر:2)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران:190).

وهذا يحدو بالقائمين على الأمر في الجزيرة (دول مجلس التعاون) أن يعملوا على عقلنة التخطيط الإداري جنباً إلى جنب مع أسلمة السلوك الحضاري، إذ لا شك أن العقل الصريح لا يخالف النص الصحيح، وإنما يتعاضدان ويتآزران؛ لأن النص خالد مطلق الصحة من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ (الحجر:9)، ولم يجعل له عوجاً، والعقل ومعطياته الظاهرة والكامنة هي من الله سبحانه أيضاً: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء:113)، ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:5).

وهذه الثنائية المتناغمة تفضي إلى:

1-التوازن في الفكر والسلوك، إذ العقل والشرع هما جناحا التقدم والانطلاق نحو الأمام.

2- تميز الدور الرسالي للجزيرة، فهو دور متوازن متكامل يسعى بالعقل والشرع معاً، وليس مجرد شعائر روحية، ومقامات زهدية تقام دون إعمال للفكر.

3- قيادة الدور الرسالي في الأخذ بالشقين، العقلي والروحي معاً، حيث إن الصراع بين العلمانيين الداعين إلى استقالة الوحي عن الحياة العامة لدول الإسلام وقبوعه في المساجد وبين دفاف الأسفار، وبين دعوات معارضة من بعض الإسلاميين إلى نهوض الإسلام وتطبيقه دون التفات إلى معطيات العلم الحديث، بل ومقاطعة هذه الإمكانات العلمية والتكنولوجية، أو على الأقل مجيئها في الرتبة الثالثة، ما تزال قائمة.

ثانياً: استرجاع الثقة في ابتناء الإيمان للحضارة (نموذج الحضارة الإسلامية قديماً):

وهذا ينبغي استصحابه في ذلك الدور المستقبلي المأمول للحضارة الإسلامية، حيث نبع النور من مكة واكتمل في المدينة وانطلق يصوغ مجتمعات إسلامية وأنظمة حضارية مجيدة نعم المسلمون وغيرهم من اليهود والنصارى بل وغيرهم من الملحدين والوثنيين في كافة البلاد برحمتها وعدلها وتصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:107).

كما كانت حضارة الإسلام حلقة الوصل بين الحضارات القديمة والحضارة الأوروبية الحديثة (كما كانت لبنة رئيسة من لبنات الحضارة الغربية الحديثة).

وهؤلاء هم منصفو الغرب يقولون بذلك من أمثال:

1- جورج سارتون.

2- غوستاف لوبون.

3- انطوان باسي.

وغيرهم الكثير والكثير، ونسمع معاً ما قاله لوبون عالم الاجتماع الفرنسي الشهير: «ما من مؤلف أوروبي حتى القرن الخامس عشر إلا وعلمه منقول عن علوم العرب»، ثم ذكر عدداً من علماء أوروبا في ذلك الزمان وقال: «إنهم كلهم إما متتلمذون للعرب أو نقلة لكتبهم، وإن الكتب المترجمة من العربية، ولا سيما الكتب العلمية منها كانت إلى مدى بعيد الأساس الذي قام عليه التعليم في جامعات أوروبا نحو خمسة قرون».

ولنذكر هنا على سبيل المثال جامعات الأندلس ومعاهدها العلمية وأدوارها في تحضير الأوروبيين، حتى إنهم بعدما هزم المسلمون فيها طفق الأسبان يفتخرون بحضارة بلادهم الإسلامية ويحتذون حذو المسلمين فيها.

وهذا ملك أرجوان لا يحسن الكتابة إلا باللغة العربية؛ لأنه تعلم في معاهد ومدارس وجامعات الأندلس المسلمة وفي ربوع حضارة الإيمان التي وسعته ولم تضق عنه ولا عن أمثاله.

وهذا ألفونسو السادس ملك الأندلس يتسمى بإمبراطور العقيدتين الإسلامية والنصرانية، وقد جعل من طليطلة المسلمة بعدما سقطت في يده منارة معارف.

كما احتفظ خلفه ألفونسو الثامن بالكتابة العربية على نقوده، وكانت المسكوكات الإسلامية والفرنسية عملة مملكة النصارى في إسبانيا وجنوب فرنسا على طول أربعمائة عام.

كما استفاد الأوروبيون من النظام الإسلامي في القضاء وفي الإدارة وفي الأحوال الشخصية والاجتماعية.

ولو أتينا على بعض آثار الحضارة الإسلامية ودورها في النهضة الغربية لطال بنا المقام كثيراً، ولكن نكتفي بتلك النبذة السابقة لنستخلص منها الآتي:-

1- أن التجربة الحضارية الإسلامية القديمة تدعو إلى الفخر والاعتزاز، وأنها قابلة للاسترجاع.

وهذه نتيجة مبرهن عليها بشواهد جمة في شقها الأول، حيث إنها وقعت بالفعل، وما وقع وكان قابلاً لأن يكون وتوفرت له العوامل المناسبة، فهذا داع لاستجلاء آفاق البعد الرسالي للجزيرة في الماضي مروراً بواقعنا العاثر ونهوضاً إلى مستقبل مشرق.

ولله در القائل الذي أحسن التصوير والتعبير:

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

2- ابتناء الثقة في الحضارة الإسلامية على الوجه الصحيح هو سبيل مكين لاسترجاعها:

وهذا حاصل عندما نغرس روح الاعتزاز والفخر بالحضارة الإسلامية على الوجه الصحيح، بحيث لا يكتفى بالإشارة إليها والتنويه بها وإنما باستعراضها حسب:

أ- خطة منهجية مدروسة تعمم على الجيل المسلم الواعد، ليكون لهم سلف ينتسبون إليه، وعز يتواصلون معه.

ب- التدليل على الآثار الحضارية للحضارة الإسلامية والتي لا ينحصر التعريف بها في مجرد كلمات مسجوعات وإنما يتعرفون عليها من خلال:-

- معارض الحضارة الإسلامية التي أدعو لإقامتها في كل مدينة أو في أشهر المدن على الأقل.

- دراسة نماذج من تحضر السابقين، كل في مجاله بحيث يكون هناك جزء

مقرر حضارة إسلامية في كافة الفروع.

- بث الروح الإسلامية في الممارسات اليومية من خلال تسمية الجامعات والمعاهد العلمية بأسماء علماء المسلمين الكبار.

ثالثاً: الصورة الحضارية في الحكم بالشريعة الإسلامية:

وعماد هذا أن مقصد الشريعة الأول وهدفها الرئيس إنما هو صالح العباد في الدنيا والآخرة، وبرهان ذلك ما ذكره علماء الأصول من أن شريعة الإسلام إنما وضعت ابتداءً لمصالح العباد، في العاجل والآجل معاً، ومعنى كونها موضوعة ابتداءً لهذا أنه قصد ذلك من وضعها في المرتبة الأولى، ويكون ما عداه كأنه تفصيل له.

وعلى هذا القصد والوضع أجمع علماء الإسلام، ولم ينازع في ذلك منهم أحد، وذهب الإمام الشاطبي في الموافقات إلى أن ذلك يعد مسلمة لا مرية فيها، ولا جدال حولها، فقال رحمه الله: «والمعتمد إنما هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد استقراءً لا ينازع فيه».

وهذا ما نص عليه الإمام الشافعي في "الرسالة" فقال: «.. فكل ما أنزل الله في كتابه- جل ثناؤه - رحمة وحجة، عَلِمَه مَنْ علمه وجَهِله مَنْ جهله».. وفصل ذلك الإمام ابن القيم، رحمه الله، فقال في "إعلام الموقعين": «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها».

وعلى هذا دلت نصوص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ

﴿عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة:6)، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة:185).. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرات المتواترات المعنى على ذلك، إذ تقطع بأن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في الآجل والعاجل، وهذا الأمر متصل في جميع تفاصيل الشريعة.

وتأسيساً على البرهان السابق والمسلمات المستخلصة به، فإننا نخلص إلى:

أن الحكم بالشريعة الإسلامية في دول الجزيرة العربية (دول مجلس التعاون الخليجي) على الوجه الصحيح بتحقيق مقاصدها وأعمال أحكامها بحسب ذلك هو سبيل مكين ونهج مبين لتحقيق ما يلي:

1- حفظ الهوية الإسلامية العربية للجزيرة العربية:

فتبقى في مأمن عن حروب الشبهات، ومنابت الفتن، وقلاقل التغريب، وفتن الاستلاب الفكري والغزو الحضاري..

وكيف لا وهي تعد بؤرة لنشر العدل، ولروضة الحضارة العالمية، ولسطوع شمس عدالة الإسلام على العالم أجمع، من خلال تحقيق مقاصد الشريعة في حفظ مصالح العباد، وجلب كل ما يفيدهم، وينفعهم في دنياهم وأخراهم معاً.

وقارن ذلك بدول أخرى ولجت في دهاليز الفتن وراحت ترقع مناهجها في الحكم، وفي الابتناء والعدل الاجتماعيين، فوجدت نفسها حائرة بائرة تشكو أزمة الهوية، ويلفها ثوب الغموض والقلق الفكري والحضاري.. ولتفصيل ذلك مقام آخر.

2- حفظ مكانتها الروحية في العالم الإسلامي:

وهذا واقع ورهين بالتطبيق الصحيح للشريعة في ضوء مقاصـدها العصماء، وفي ركاب الواقع المتجدد والمجتمع المتحرك وفي واقع العولمة الذي يحوطنا في كل شيء.

إذ إن إبصار المستقبل يبين لنا أن الريادة الروحية لا تكون بالمادة والثراء، ولا بالرفاه الاقتصادي، ولا بالتقدم التكنولوجي فقط.. وإنما هو بادئ ذي بدء بتطبيق تعاليم الإسلام الصحيح على الوجه الفضيل، تطبيقاً متكاملاً منسجماً مع المجتمع العولمي ومعطيات الواقع المعلوماتي.. بحيث تنشده العقول وتختاره الفهوم وتتمتع به الأبصار والأسماع في الإنصاف والرؤية والكتابة والقراءة معاً عن ذلك التطبيق الواقعي للشرع الإسلامي.

وهذا مدخل المداخل لدرك نعيم الدنيا ورفاهها كما وعد الله بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف:96).

3- تجديد القيادة الروحية للجزيرة ضـــمن عملية البعث الحضـــاري الإسلامي:

وفي ذلك استعادة للقيـادة الروحية للجزيـرة على مســـــــــتوى العالم الإســـــلامي حيث كانت المدينة المنورة مركزاً للوحي بعد مكة وكانت بدورها أول عاصـمة روحية وإدارية للإسـلام في عصـر الرسـول ﷺ ثم تنحت عنها العاصمة الإدارية شيئاً فشيئاً غير أنها ظلت العاصمة الروحية للتطبيق الإسـلامي على مسـتوى الدولة، ومسـتوى الإدارة (حيث تطبق الأحكام الإسـلامية على القائد والمقود هناك) وعلى مسـتوى المجتمع، وعلى مسـتوى الأفراد، حتى ذهب الإمام مالك رضـي الله عنه إلى الأخذ بعمل أهل المدينة كمصـدر من مصـادر

التشريع... بما يسميه الأصوليون "عمل أهل المدينة" ابتناءً على أنها عاصمة الإسلام الروحية وأن ما يمضي فيها من العمل والسلوك هو نفسه اتصال لما مضى في عهد الرسولﷺ(1) ولهذا مغزاه ومعناه في موضوع بحثنا هذا.

رابعاً: ضرورة الانفتاح على الآخرين:

وهو كلمة يكتنفها غموض بعض الشيء، لذا يتوجب علينا ضبطها، ونعني بها في سياق حديثنا التعرف على (الآخر)، والانفتاح على ثقافته وفكره في إطار قيمنا، وهذا مطلب قرآني لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات:13).

وعندي أنه لا إشكال في جواز التعرف على الآخر مطلقاً مجرد معرفة ذهنية تصورية، لنتعرف عليه من قرب، فهذا لا ضير فيه، بل الجهل بهذا (الآخر) يعد من دروب الجهل التي تستوجب اللوم.

ثم هناك مرحلة أخرى هي مرحلة الانفعال والتجاوب مع ذلك (الآخر)، وهو ما يتبع المعرفة غالباً، ولا يشترط هذا التجاوب والانفعال تصديق هذا (الآخر) والإيمان بما عنده وتبني أطروحاته، فهنا يبرز الإطار الحضاري والمعرفي لثقافتي وحضارتي، إذ تقتضي هذه المرحلة مرحلة أخرى هي :-

"مرحلة النقد والتبصر" ثم الإقدام للتجاوب والانفعال، عن طريق خطوتين:

الخطوة الأولى: اكتساب المعرفة الجديدة النافعة لي:

والاكتساب هنا مطلق لكل ما هو مفيد وجديد من معارف وتصورات

(1) مع ملاحظة مخالفة جمهور العلماء لمالك في ذلك، حيث لم يأخذوا بعمل أهل المدينة كأصل من أصول الشريعة.

وتطبيقات، ووســـائل وآليات، فهذا يقع تحت طائلة الحكمة التي نطالب بدركها وأخذها من كل أحد إذ: «...**الْحِكْمَةُ ضَـالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**»[1].. وهي إرث إنساني لا يقتصر على جنس أو موطن ولا على دين.

والاكتساب هنا إما أن يكون:-

1- لجديد مطلق الجدة، وهذا يؤخذ بعدما تضـــبط أهدافه وغاياته بما يتلاءم مع حضارتي وقيمي الإسلامية.

2- مطور في صورة جديدة، فهذا أسعى لربطه بها عندي من أصول حضارية بمعنى أني أسعى لربطه بأبوة حضارية، من عندي فيصبح حلقة وصل معها وسبيلاً لتطويرها.. ولا عجب أن يكون الابن أكثر تفوقاً من أبيه، غير أنه يدين له بالأبوة وفضل السبق.

الخطوة الثانية: نقد المعرفة غير الملائمة وطرح بديل مناسب لها:

وهذه مرحلة لا تقل عن الأولى أهمية، إذ لسنا نجزم بأن كل جديد عن (الآخر) هو مناســـب لي فهناك ما لا يناســـبني ولا يليق بي غير أني أتجاوز مرحلة الرفض الأعمى إلى مرحلة النقد المتبصر، بل والاقتحام وطرح البديل.

وما أكثر تلك البدائل التي يناط العمل على طرحها ونحن في الجزيرة بما آتانا الله من فضـــل التاريخ التليد، والحضـــارة الخالدة، جديرون بأن نعمل على طرح البدائل المؤسلمة، سواء في الجانب التكنولوجي والمعرفي، أو في الجانب الاجتماعي الإنساني.

والحاصل أنني أخلص إلى الآتي:

1- أن الانفتاح مطلب إســـلامي ضـــروري تمليه الظروف الاجتماعية والقيم

(1) أخرجه الترمذي.

الدينية من باب نشر الرسالة الإسلامية، سعياً إلى ريادة العالم روحياً والاضطلاع بتلك الأمانة التي فيها ذكرنا ومجدنا: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء:10).

2-أن الانفتاح هو السبيل الرئيس لتلقيح الأفكار وتعضيدها وتجددها وانتعاشها، وهو مفتاح تذويب الجليد بيننا وبين الآخرين، وخاصة بعد تلك الأحداث العارمة التي اجتاحت عالمنا الإسلامي.

3-أن الجزيرة كما كانت منفتحة على العالمين أولاً بقيمها الروحية، فهي مؤهلة لإعادة ذلك الدور، عن طريق انفتاحها على العالمين ثانياً، معطية وآخذة، وليست معطية كما كان الحال من قبل، وهذا نلمحه في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ...﴾ (الحج:27).

خامساً: نحو أسلمة التكنولوجيا:

ابتناءً على ما سبق ذكره من امتلاك الجزيرة لموارد الطاقة ورؤوس الأموال، وكونها القبلة الاستراتيجية للطاقة في العالم، فإنها قادرة على توظيف التكنولوجيا في كافة المجالات والبنى الاقتصادية والاجتماعية.

ومن المعروف أن التكنولوجيا الحديثة غربية المنشأ غربية التطور، غربية الآثار والنتائج، وإن كانت تهدف إلى رفاه الإنسان ومتعته وهي غاية منشودة، وهدف نتفق معه إجمالاً، غير أنه يستوقفنا وقفات متتاليات.

فهي وإن كانت تكنولوجيا مادية في معظم وجهها الحضاري، يمكن أن نختزلها مجازاً في آلات وأجهزة ومعدات إليكترونية صامتة تتحرك بنظريات علمية

مدروسة، إلا أنها إنسانية التشغيل، إنسانية الصنع والهدف والتوجيه.

وإن شئت وضوحاً فقل: هي غربية السلوك والوسيلة والهدف والتوجيه .. قد انعكست عليها قيم الحضارة الغربية بدرجة كبيرة فانطبعت بطابعها الاجتماعي وبنمط حياتها اليومي حتى أصبحت الآلة لصيقة بحياتهم، تعمل بنمط حياتهم.

فهذا مصنع يعمل فيه رجال ونساء متلاصقون معاً في وردية ليلية، وهذه آلة تقتضي من المرأة مشاركة وانقطاعاً لها على فترات متناوبة بحيث يمنع عليها الحمل والإنجاب وإلا فقدت وظيفتها، وهذا عمل آخر يتطلب انقطاعاً وتبتلاً وعدم الاعتراف بالعلاقة الشرعية من زواج وأولاد والاستمتاع بأسرة هانئة تحوطها روح المحبة.

وبناءً على ذلك نشأت أنماط حياتية خاصة لها قيمها الخاصة لكي نتماشى مع تلك التكنولوجيا .. مثل:-

1- تعظيم الحياة الفردية على حساب الحياة المجتمعية، وإطلاق حريات الفرد حسبما شاء.

2- انتشار الممارسات الجنسية خارج إطار الأسرة للترويح عن النفس في أوقات الإجازات (الويك إند)(!)

3- انتشار بيوت الدعارة والملاهي الليلية والقمار والخمور في المتنزهات لكي تستوعب ذلك العامل المضغوط في عمله (!)

4- انتشار المواد الإباحية مطلقاً في وسائل الإعلام على اختلافها، وعلى تنوع تلك الإباحات.

5- انتشـــار العلاقات المثلية (رجال ورجال)، (نســـاء مع نســـاء)، وترخيص الدول الغربية لهذا.

وكل ما ســبق يدار أيضــاً بوســائل تكنولوجية حديثة، لبلوغ أقصــى درجات المتعة، عوضاً عن التعامل الشاق والجاف مع الآلة.

وكل هذا يحمى بسياج قانوني وإطار مؤسسي لكي يضمن للمصانع أن تنتج وللآلة أن تعمل وللتكنولوجيا أن تثمر وتدر الأموال الطائلة، ليعظم الاقتصاد ويحل الرفاه الإنساني (!)

إبصار المستقبل التكنولوجي في الجزيرة العربية:-

نعود هنا إلى حلقة الوصل بيننا وبين ما سبق، من خلال طرح السيناريوهات الآتية:

1-هل نترك التكنولوجيا الغربية جملة ونلزم خاصة أنفسنا ونولي لها ظهورنا؟!

2-هل نأخذها بخيرها وشرها وبيئتها التي نشأت فيها؟!

3-هل نبدأ من حيث انتهوا وكيف ذلك وليســت عندنا قاعدة علمية وتكنولوجية مثلهم؟

4-هل نأخذ بعضــاً ونترك بعضــاً، وما هو مقياس الحاجة وآليات الأخذ والترك؟ وماذا لو كانت المنظومة التكنولوجية متكاملة لا بد من أخذ جملة منها...؟!

5- وماذا لو أخذنا منهم ما نريد وحاولنا أن نكيفه حســب عاداتنا وقيمنا، أنظل مستهلكين وتابعين؟!!

وبين هـذا وذاك من الأسئلة السابقة تحار العقـول وتنقطـع السـبل.. ولا يصح إلا الصـــحيح وهو: أن نؤســـلم منظومة التكنولوجيا الغربية في الجزيرة العربية، ثم في البلاد الإسلامية، مع الاستعداد لاقتحامها ومنافسة الغرب فيها.. وهذا مطلب ليس بالعسير فقد سبق أن مهدنا له بالإمكانات المادية والروحية التي حبا الله بها الجزيرة.

وفي الأخذ بالفرضية السابقة، أرى الآتي:

1- أن أســـلمة التكنولوجيا هو الســـبيل الذي ينبغي أن نحققه في المنظور العاجل تمهيداً لمنافسة الغرب فيها على المدى الآجل.

2- أن في أسلمة منظومة التكنولوجيا أهداف عدة:-

أ- حفظ مجتمعنا من تلك الآثار الاجتماعية التي تحيط بالآلة الغربية.

ب- طرح بديل إســـلامي لتســـيير تلك التكنولوجيا قادر على إثبات أهمية التوظيف والتوجيه الحضـــاري المحاط بســـياج القيم وبنور الوحي، وأنه أكثر إثماراً من محض التوجيه المادي الخاوي عن الروح والقيمة.

3- التمهيد للتجربة الإســـلامية الواعدة في التقدم التكنولوجي، وإثبات أن الإســـلام يحث على النظر والاعتبار والالتفات إلى الظواهر الكونية والقوانين الإلهية فيها، واستثمارها في الحياة لإعمار الأرض ولرفاه الإنسان.

وهكذا تقودنا الأســـلمة إلى تجربة إنسانية لا تزال مقتعدة ألا وهي المزاوجة بين الآلة والقيمة، وبين الروح والجســـــــــد، وبين السماء والأرض.. وأن مردود هذه المزاوجة هو أثرى وأوفر حالاً من مردود محض التوجيه المادي كما هو عند الغرب؛ لأن الإســـلام خير كله وهو دين الدنيا والآخرة، وهذا ما يجب أن تطّلع به الجزيرة

قبل غيرها.

سادساً: عقد المصالحة بين السلطة والمجتمع:

ينبغي للأنظمة أن تنمي هذا التوجه لديها، وأن تدرك أهمية المصالحة والتحالف مع الملتزمين بالقيم الإسلامية لتحقيق المقاصد الإسلامية، مع تجنب كل منهما الصدام وافتعال الخلاف مع (الآخر)، وإلا هدرت الطاقات، وتبددت الجهود، واستنزفت الأمة، وانحرفت المسيرة في الجزيرة الخاصة.

وعلى الملتزمين بالإسلام كذلك تطوير أنفسهم من الداخل، وتجاوز الحدود الداخلية إلى آفاق الأمة نفسها، كما يجب عليها أيضاً الخروج من دائرة رد الفعل للحركات العلمانية إلى وضع البديل الذي لا يقنع بالجهل أو التجاهل لما لدى (الآخر)، وإنما يسعى جاهداً لامتلاك الوعي بما لدى (الآخر)، سواء منه ما يدخل في إطار النافع الذي يُستلهم أو الضار الذي ينبغي رده بالدليل والبرهان، ومواجهته ببديل إسلامي نافع.

كما أن على الملتزمين بالإسلام الابتعاد عن الروح الحزبية التعصبية، والعمل تحت مظلة الأخوة الشاملة، واستيعاب كل الطاقات والأنشطة والمواهب.

سابعاً: النظرية الإسلامية التربوية:

جدير بالذكر أن أي تغيير لا بد أن يكون تغييراً مجتمعياً كاملاً لكي يحدث أثره، ولتتضافر الجهود حوله، ولكي لا ينقلب المجتمع عليه عشية أو ضحاها.

وفي مقام حديثنا هذا ينبغي لفت الأنظار إلى أهمية التهيئة المجتمعية، إلى تلك الغاية التي نتحدث عنها من خلال محور الرؤية المستقبلية للاطلاع بالدور الرسالي ضمن إطار الموضوع الكبير عن «البعد الرسالي لمجلس التعاون، من استشراف الماضي

إلى إبصار المستقبل».

ومما يساعد على ذلك الحديث هو الانسجام المجتمعي في الجزيرة العربية، حيث لا تشكو إثنية دينية، ولا يلفها هاجس تفجر العرقيات المختلفة، وإن لم تخل من بعض الأطر الضيقة التي لا يستهان بها، في سياق ذلك المستقبل المأمول لها أن تقوم به في الاطلاع بالدور الرسالي.

ومن هذه الأطر الضيقة:

1- إطار القبلية.

2- إطار الحزبية.

3- إطار المذهبية.

4- إطار الاستغراب.

وهذه الأطر قد لا تمثل أثراً ظاهراً في المنظور الآني أو القريب، غير أنه ينبغي الالتفات إليها وإبصار الحلول لها قبل استفحال خطرها وتوسع دائرتها.

ولعل أهم المخارج من ذلك العثار المخوف هو:

1- تقوية الولاء الديني والوطني:

وفي ذلك تغلب على حالة القبلية التي تأخذ منحنيات خطيرة في بعض الأحوال.

2- العود إلى مصدر التشريع النقي (القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة) كأساس لدفع حالة التمذهب المقيت:-

وجدير أن نذكر أن المذهبية بمعناها التزام مذهب فقهي صحيح الدليل صريح

الفهم لا شيء فيه ما دام قائماً على الاتباع واستبصار الدليل .. أما إن قام على الجهل ومحض التقليد، وأدى إلى عنصرية بغيضة، وولد طائفية مهلكة، فهذا هو المنبوذ، الذي نسعى لدفعه، وعليه يدور حديثنا الآن.

3- إبراز الهوية الإسلامية والاعتزاز بالعادات والتقاليد الإسلامية والعربية الموافقة هو سبيل دفع الاستغراب:-

لأنها حالة عارضة تنشأ عند ضعف الهوية، وتتشربها النفوس عند ضعف الولاء والانتماء وعند افتقاد البديل المشبع.. وهنا تبرز التساؤلات الآتية:

أ- كيف نحقق الانسجام المجتمعي؟

ب- وما هو السبيل الصحيح لدفع القيم المجتمعية السلبية؟ وتجاوز القيم الأخرى المتوقعة؟

ج- وكيف لنا أن نهيىء المجتمع في الجزيرة لمرحلة الاطلاع بالدور الرسالي؟

هذه أسئلة متراكبة يفضي بعضها إلى بعض، وقد يسعنا المقام لطرح "معقد الحل" وهو ما اقترحه قبلنا غيرنا، ونسعى لتوكيد طرحه عن:

«ضرورة تطوير نظرية تربوية إسلامية شاملة تستوعب المجتمع بأنماطه، وتعمل على تنقيته وتهيئته للقيم الإسلامية وللدور المنوط بمجتمع الجزيرة في بعث الدور الحضاري الرائد لها...».

النظرية الإسلامية التربوية لصياغة المجتمع وتهيئته:

ليس هذا مقام التفصيل لهذه النظرية(1) وإنما هو بالأساس مقام للتنويه بها،

(1) انظر في الحديث عن تلك النظرية مؤتمر تهيئة الأجواء التربوية لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية (المحور الأول: التربية في صدر الإسلام) ضمن أعمال اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ص40 وما بعدها.

وتوكيد طرحها، وبيان ضرورتها، ضمن مخطط إحياء الدور الرسالي للجزيرة.

معالم النظرية:

تنطلق معالم هذه النظرية المطلوب صياغتها وتطويرها، عن:

أ- القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

ب- التراث التربوي عند المسلمين وما دار حوله من دراسات حديثة.

ج- التراث التربوي المعاصر (مع استبعاد ما لا يتلاءم معنا، وأسلمة أجزائه الأخرى بما يتناسب مع حضارتنا وقيمنا وأهدافنا..).

أسس ومنطلقات النظرية:

وتنطلق هذه النظرية كذلك عن التصور الإسلامي المميز:-

أ- لله سبحانه وتعالى.

ب- الكون.

ج- الإنسان.

أهداف النظرية [1]:

تستهدف هذه النظرية عموماً ما يأتي:

1- التعبد (وهو غاية الغايات، أن يتعبد الناس لربهم).

2-التحرر عن كل قيد وكل ذل واستعباد إلا لله.

3-إتمام مكارم الأخلاق، وهذا من غايات الرسالة المحمدية: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ**»[2].

---

(1) انظر المرجع السابق، ص 56-60.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني.

4-التعليم.

5-التعقيل.

6-التوجيه الاجتماعي.

7-التعمير.

8-الإعداد البدني.

9-الإثراء الجمالي والوجداني.

ولعل أهمية هذه النظرية في مقامنا هذا هو:

تهيئة مجتمع الجزيرة لهذا الدور المنوط به من البعث الحضاري والاطلاع بالدور الرسالي، وتوجيه المجتمع في العمل والممارسة لتحقيق هذا الدور.

وعليه، ففي ظل إبصار المستقبل نجد :

"أنه على دول الجزيرة (مجلس التعاون) التعاضد معاً لبلورة هذه النظرية وتنقيحها لإنفاذها في روح المجتمع وثقافته ورؤيته وحراكه، لنصل إلى الدور الصحيح المرتقب".

الخلاصة

نخلص من جميع ما سبق إلى ضرورة تحقيق الوصايا الآتية في سبيل تحقيق الغاية

المنشودة من البعث الحضاري للاطلاع بالدور الرسالي، وهي:-

1- ضرورة استنبات الكوادر الفذة من نابغي الأمة وقوادها، تمهيداً لقيادتها وتوجيهها انطلاقاً من دول الجزيرة العربية، التي قادت الفتوحات الإسلامية ومشاعل الحضارة إلى العالم أجمع.

على أن يعيش هؤلاء الأفذاذ والنوابغ والقواد حال الأمة، ويعتركون بواقعها، ويستشعرون محنها، ويتشبعون بالمناهج الشرعية والعلوم الإسلامية والعقلية.

2-تكوين مجلس علماء للجزيرة، يبحثون أوضاعها، ويخططون لمستقبلها، ويتعاونون فيما بينهم ومع غيرهم من مجالس أخرى للعلماء للاتفاق على خطوط مستقبلية عريضة تتوحد عليها الجهود.

3-تنقيح المناهج الشرعية، بحيث تدرس فقه الشريعة والواقع معاً، لتخرج لنا قادة ومفكرين وليس علماء متخصصين في بعض فروع العلم الشرعي فحسب، وتعميم تلك المناهج في المؤسسات العلمية لدول الجزيرة.

4- استلهام الموروث الحضاري بعد فرزه جيداً، أو استبعاد ضعيفه ومتهافته، واستخلاص قويّه وصحيحه، للانطلاقة عنه ووصله بالحاضر، والانتماء إليها اعتزازاً وقيمة.

5- تجاوز النظرة الإقليمية الضيقة، إلى نظرة أممية تهتم بقضايا الأمة

وإشكالاتها، وليست قضية حزب أو جماعة أو فئة فقط، وإنما ينصهر هذا جميعاً في حدود الأمة.. وقد تعرضـــت لهذا في مقال مطول لي في جريدة الوطن[1].

6- التفريق بين القضـــايا الحقيقية والقضـــايا الزائفة، وترتيب أولويات قضـــايا الأمة ابتداءً بدول الجزيرة، فلا يقدم المهم على الأهم.

(1) انظر جريدة الوطن الكويتية.